أما في الاصطلاح:

"فتعني رعاية شؤون الدولة الداخلية والخارجية، وتعرف السياسة عند فقهاء المسلمين قديماً وحديثاً هي التولي على القوم والتأمر عليهم وتأمير الامراء وتعريف العرفاء "[1]

وفي المفهوم الغربي "السياسة تعني رعاية شؤون الدولة الداخلية والخارجية، وتعرف اجرائياً بأنها دراسة السلطة التي تحدد من يحصل على ماذا ومتى وكيف؟، وتقسيم الموارد في المجتمع عن طريق السلطة". [2]

ومن هنا يتبين لنا أن التعريف الإسلامي والتعريف الغربي يتفقان في أن السياسة هي فن الحكم، ويختلفان في أن الإسلام يبني طريقة الحكم على دعائم من الشرع إذ كان الإسلام ديناً ودولة، أما الغربيون فيقصرون الحكم على شئون الدنيا بغض النظر عن الدين[3]

القضايا السياسية في شعر صلاح أحمد إبراهيم:

كانت هنالك عدة قضايا على الساحة السياسية في عصر الشاعر ذات أهمية بالنسبة للسودان وا إفريقيا، ولكن هنالك قضايا معينة تأثر بها الشاعر وتفاعل معها دون غيرها من القضايا وهي:

أولا: قضية مناصرة حركات التحرر الإفريقية في شعر صلاح:

---

[1] ابن تيمية_ أحمد بن عبد الحليم _ الفتاوى الكبرى _دار المعرفة _ بيروت، لبنان بط ج5 _ ص118

(2) مجلة كتابات سودانية الصادر عن مركز الدراسات السودانية- مجلة غير دورية – الصادرة بتاريخ 15 شباط 2015م _ ص2

[3] الحوفي _ أحمد محمد_ أدب السياسة في العصر الأموي _ دار المعارف _القاهرة،مصر _ط2_ص 7 ، 8

بعد أن هبت الشعوب الإفريقية في وجه مستعمريها، نالت بعض الدول استقلالها وكان من بينها السودان الذي استقل عام 1956م، ورأى مثقفوه أن الاستقلال ناقص إن لم يعم كل أرجاء إفريقيا، ومن ثم كان همهم تحرير بقية دول القارة.

"أدى حرص السودان علي المشاركة في كافة التظاهرات والنشاطات، والتعبئة من أجل تحرير القارة الإفريقية، إلى تبني سياسة خارجية... أولوياتها مهمة استكمال تحرير القارة الإفريقية، وظل السودان محتفظا بالتزامه حتى لحظة انجاز استقلال آخر دولة افريقية"[1]

يعتبر السودان في طليعة الدول الإفريقية التي تحررت من الاستعمار، "و جعل السودان ... قضية تصفية الاستعمار، والتفرقة العنصرية، هدفاً ومبدءاً أساسياً من مبادئ سياسة السودان الخارجية" [2].

وأدى تكفل السودان بهذه القضية إلى وضع عبئاً جديداً على عاتق السودان فكان من أوائل الدول الحريصة على مناصرة الشعوب الإفريقية في هذا المنحى والمتمثلة في مناصرة الأفارقة وحل مشكلاتهم.

وشارك السودان في كل جهود تأسيس العمل الإفريقي المشترك، فكان عضواً مؤسساً في منظمة الوحدة الإفريقية، شارك السودان في صياغة الميثاق الذي نص علي دعم وحدة إفريقيا وتضامنها في 25/مايو /1963م.

وبما أن القضية كانت شاغلاً للساحة الثقافية في عصر الشاعر فقد تناولها كثير من الشعراء السودانيين في شعرهم إذ شكلت نبعاً دفاقاً ثراراً للشعراء الأفارقة"[1] وممن تناولوها

---

[1]. موقع سودارس الإخباري - مقال بعنوان: قراءة حول دور السودان في إفريقيا علي هامش ندوة تعزيز العلاقات السودانية الإفريقية نشر بتاريخ 2009/8/7م

[2]. الصديق –عبدالهادي، السودان والافريقانية، مركز الدراسات الاستراتيجية، الخرطوم، السودان، د.ت ص80

شاعرنا صلاح أحمد إبراهيم فقد كان يصدر الشعر من أعماقه غير متكلف، وأول ما يقابلنا في هذا الشأن مناصرته لمناضلي كينيا من حركة الماماو في قصيدة باسم (شنق امبادوا) " وأمبادوا أحد الذين نكل بهم المستعمرون في كينيا"[2] وفيها استعرض الأهوال التي تخيل أن المناضل قد كابدها قبيل شنقه أمام شعبه فقال.

في بَطْنِ لَيْلٍ اجْزَكَّ في الأفْواجْ
سَجّاذُكَ الضّاري
لصِكّةِ المزْلاجْ ورَنَّةَ الكُرْباجْ
في ظَهْرَكَ العاري [3]

ذكر الشاعر زمان اعتقال المناضل: في بطن ليل ... وكلمة ليل تحمل معنيين قريب وهو المعروف بالميقات الزماني، وبعيد يشير به لليل الظلم والقهر وما يمارسه الغاصب من تعذيب وتنكيل ثم أن الليل فيه إيحاء بالخفاء و الستر عن الأعين، وهو ليس للفعل بل لباس يتدثره من قضى نهاره في الفعل والجهد، وما يحدث في الليل دائماً يثير فينا الإحساس بالتوجس والقلق وعدم الطمأنينة لذلك استخدم أسلوب التقديم والتأخير من أجل التشويق، وقد تم اختيار السجان بمهارة حيث تفننه في تعذيب الناس، مما يدل على أن الاستعمار يستخدم اقسى أنواع السجون، وأن صدي صوت السوط كرنين الجرس وكأنما يريد الشاعر أن يقول أن هذا التعذيب لا يزيد المناضلين إلا اصراراً على النضال وبذل أنفسهم لاوطانهم، ويمضي مسترسلا يقول:

والنَّعْلُ في إزعاجْ تقول : لا إفْراجْ
تسعي لإعدامِك
والجُنْدُ في الأبْراجْ والنارُ في الاحْراجْ

---

[1] التوم_ حسن صالح(دكتور)_ الاتجاه الإفريقي في الشعر السوداني المعاصر_سولو للطباعة والنشر_الخرطوم_ط1_2002م_ص107

[2] حسن صالح التوم _ الاتجاه الإفريقي في الشعر السوداني المعاصر _ص107

[3]. إبراهيم – صلاح أحمد – غابة الابنوس (ديوان شعر) ابنوس للنشر الخرطوم السودان ط3 2013، ص 65

قصـ ةُ إرغامِ كْ
وأنتَ كالنَّساجْ حيكَ تُـوشي َ الذّأرْ [1]
للفَيلقِ الجَبّارْ
وفي نوُّلِ آلامِ كْ [2]

هنا أشار الشاعر إلى صوت وقع نعل الجنّان وكأنها تنذر المناضلبأنّ أمل في الإفراج عنك وأن مصيرك هو الموت، فالمكان محاط بحراسة مشددة لن تتمكن من الإفلات منها، ويمضي الشاعر يروي قصة المناضل حين أرغمه المستعمر وأدخله السجن، والمناضل في تفكيره الدائم كأنه نساج ينسج على نولٍ من كثرة تضارب الأفكار في رأسه من أجل الحرية والاستقلال هذه الأفكار شبهها وكأنها خيوط عندما توضع على آلة النسج من أجل أنتنسج فتخرج ثوباً كاملاً. ثم من بعد ذلك يتحول الشاعر من الليل الي الضحي حيث تم اخذ المناضل (أمبادوا) من أجل تنفيذ الحكم فيقول :

وفي الضـُّحي جَرُّوكلَاْساحةِ في السـُّوقْ
يدفَعُكَ السـَّجلسَنّاعِدالمَوْثُوقْ
عَتْ ولَجلافُمـْـــمِنْ شَعبِكَ المرْهُوقْ
كالنَّمْلِ كالديـّــارالفُلفُكِ المحْروقْ
وأُسمواعـتَقْريرْ (لَجنْنة التَّحْقيقْ)
ورسـُّهُطُاســْتهْتارْ وعَـدْلُهُ تَلْفيقْ [3]

قفز الشاعر في هذه الأسطر السابقة من الليل إلى الضحى، عندما تم اقتياد أمبادوا إلى ساحة في السوق حتى يشهد إعدامه عدد كبير من أبناء شعبه، ويدفعه السجان وقد كبلت يداه، وقد حشد الآلاف من شعبه الذي أرهقه وأنهكه الاستعمار وهم بهذا العدد الكبير شبههم الشاعر

---

[1] غابة الابنوس –ص65

[2] غابة الابنوس –ص65

[3] نفسه ص65+66

بالنمل وفي حركتهم البطيئة هذه كأنهم ديدان وهم يشبهون الفلفل المحروق من شدة سواد لونهم، ثم قام السجان بتلاوة قرار إعدامه، ووصفها بأنها استهتار وتلفيق وليس لها أساس من الصحة وليس فيها عدل، ويتكشف لنا أن هذا كله مسرحية من خلفها مؤامرة القصد منها التخلص من رمز النضال، هذا كان في المحكمة، الآن تأتي لحظة تنفيذ الحكم بعد تلفيق التهم الذي انتهي بالحكم عليه بالإعدام فعبر بقوله:

وإذْ عَلا التَّصفيقْ
دَنَّتْ لِلحُرَّاسْ في لَحْظَةِ التَّطْبيقْ
فأحْكَمُوا الأمْراسْ في عُنقِكَ المعْروقْ
وسَحَّ التّاريخْ سَقطَ (الماوْ ماوْ)
علي الثَّرَى ذُوقْ
ولم يزل خفاق في أعمق الأعماق
وشي لواءٍ باق [1]

أشار الشاعر في هذه الأسطر إلى حقيقة أن المستعمر يسعى دائما إلى كبت كل أسباب النضال، والسعي وراء الحرية مما يتطلب منه إيجاد السبل التي تمكنه من ذلك، وإعدام أمبادوا هو محاولة للتخلص منه باعتباره رمزاً من رموز النضال الذين يلتف حولهم الشعب في سعيه لنيل الحرية وإخراج الغاصبين لأرضهم، ولكن كل هذا الايجدي نفعاً ، فإعدام أمبادوا زاد من حب الشعب النضال .

لقد استخدم الشاعر في هذا النص صوراً بيانية عديدة (مثل تشبيه أمبادوا بالنسّاج في تفكيره، وتشبيه شعبه بالنمل لسواد لونهم الذي يشبه لون النمل الأسود) وهو أمرٌ مألوفٌ لدى شعراء الشعر الحر،كما أن عدم التقيد بقافية معينة بدا جلياً ، في هذه القصيدة وقد استخدم

[1] غابة الابنوس _ ص 66

مجزوء بحر الر جز الذي يمتاز بسهولة تفاعليه وسرعة جريانه على اللسان " ولقد اختار لهذه القصيدة مجزوء بحر معروف الذي يمتاز بسرعة الحركة وكأنه يريد أن يفر من رؤية موقف الشنق الأليم"[1]

وهذا صحيح فظهرت الأحداث في القصيدة وكأنها مسرحية قد مرت أحداثها أمام القارئ، وكأن الشاعرلا يريد أن يطيل الانتظار كثيراً فأسرع في عرضه كثيراً متجنباً لرؤية الحزن والأسى على الوجوه.

وفي نص آخر ينتقل بنا إلى الجزائر وقد " أبتليت الجزائر بالاستعمار الفرنسي في مرحلة مبكرة من مراحل الصراع بين أوربا الناهضة بعلومها وتفوقها العسكري وطموحها الاستكباري، وبين العالم الإسلامي الذي كان يتوزعه الخمول والضعف والفرقة"[2] وقد كان لصلاح أحمد إبراهيم وقفة معها بشعرهمؤزآراً في قصيدة بعنوان (أغنية التروبادور للجزائر) وفيها يحاول الشاعر رفع الروح المعنوية للمناضلين حتى لايصيبهم اليأس بعد أن اقترب مولد فجر الاستقلال بقوله :

أرهَقك المسير
وطالت الر ِحلة رغْم َ البردِ والوحدةِ في (أُم ْشِ ير ْ)
وأنت ِ يا حبيبتي في شَ هْ رك الأخيْ ر
تحَّر َّك َ الجَ نين ُ ، أشفقي عليه من إجهاض ْ
حتى إذا إشتدت عليك قبضةُ المَ خَ اض ْ
هُ زي ببِلِيتِكِ يِاجِذْ عِ ذَ خلة الشُّ عُ وب ْ
تُ هْ دي إليك كيف تطلبين رُ طب القُ لُوب ْ

---

[1] هدارة_ تيارات الشعر العربي المعاصرة في السودان ، ص418

[2] شراد_شلتاغ عبود(دكتور)_ تطور الشعر العربي الحديث_ دار مجدلاوي للنشر_ عمان_ ط1 ،1998م_ص57

ومـ ُهجَ الر ّ ِجال ْ [1]

فبعد حين يا حبيبتي فبعدَ حين ْ
سـ َ تـَفْرحين، تـَفْرحين َ تفرحين ْ [2]

يحاول صلاح في هذه الأسطر أن يخفف من مأساة أهل الجزائر مجرداً منها أنثى يحييها ويناجيها مخففاً عنها آلأم المخاض، وهو أسلوب تجريدي يهدف به إلى تجسيد الصورة بشكل مؤثر وبأسلوب درامي عندما يخاطب الثورة في الجزائر ثم نراه يبين لنا ثقافته الدينية في البيت السادس مستخدماً التصوير الفني في القرآن، وهو اقتباس من الآيات التي تخبر عن مولد عيسى بن مريم عليه السلام في سورة مريم في قوله تعالي(فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ٢١ فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ٢٤ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ٢٥)[3] فهو يستفيد من التصوير الفني لحالة مخاض مريم العذراء ويتخذها شبهاً لحالة الجزائر، وقد استفاد الشاعر من خلفيته الدينية في تصوير هذا الموقف، وهذا يدل علي "قدرته على اختيار اللوحات التصويرية الدالة علي مواقف إنسانية ذات قدرة تأثيرية بالغة"[4] ثم يستطرد قائلاً ·

سيدتي مهما اطال الليل ْ
مهما رمانا الناس ْ
غير َتي تجيش أغنيات عاشق وتُقّ ُ النغاِ ْ
ياليتني رصاصةٌ تُ ُطْ ُ الجزائر ْ
شمعةٌ ساهرةٌ تؤنس ليل ساهر ْ

---

[1] غابة الأبنوس ص 25

[2] غابة الأبنوس ص 25

[3] سورة مريم- الآيات 23، 24 ، 25

[4] هدارة_تيار الشعر العربي المعاصرة في السودان ص 416

أو كلمة سر تقود ثائراً لثأر [1]
أو خنجر فدائي خفي ماكر
أغيب في مهجة جاسوسٍ نبغادر
لبسمة واحدة كالفلّ البيضاء
تبسمها الجزائر. [2]

وهنا نجد أن الشاعر يقف على حال الجزائر التي طال استعمارها، وقد كان المستعمر الفرنسي يمارس كل أساليب القهر ضد الثورات التي تمكن من طرده ونيل الاستقلال، ولعدم التكافؤ بين الثوار والفرنسيين في القوة أعطى الغلبة للفرنسيين فارتكبوا المجازر ونكلوا بالشعب الجزائري لسنوات عدة، وكان لهذا له أثر كبير في توهين عزيمة الثورة وتيئيسهم، أضف إلى أنهم لم يجدوا الدعم من الآخرين، وبرغم كل هذا يدعوهم الشاعر بمواصلة النضال لأن موعد الحرية قد اقترب، فصدح بالإشعار الحماسية التي تلهب الثورة وترفع من روحها المعنوية، وتمنى الشاعر أن يكون عوناً لهم وهنا تزاحمت في خياله صور أشياء بسيطة لكنها غالية لدى الثوار، مثل الرصاص فتمنى أن يكون رصاصة يطلقها الثوار في مواجهتهم العلنية، أو (كلمة سر) تفيد في أنشطتهم السرية، وتمنى أن يكون خنجراً في يد فدائي يقتل به الجواسيس والخونة في دهاء، وهذا تسلسل تصويري جميل وهو "في الحقيقة أسلوب درامي يعتمد علي المواقف التصويرية".[3]

وبما أن الثورة لأجل الجزائر تمنى الشاعر عونهم حتى تسعد الجزائر وتبتسم، لقد استطاع الشاعر أن ينقل صورة جميلة لحالة الثورة الجزائية وهو تصوير فني جميل.

الآن ينقلنا الشاعر إلى الكنغو في قائدها باتريس لومومبا وقد كان لمأساه لومومبا والكنغو وقعاً عظيماً في نفوس المناضلين الأفارقة، وقد قال صلاح أحمد إبراهيم: "الحق أولي بأن يقال

---

[1] غابة الأبنوس _ ص27

[2] غابة الأبنوس _ ص27

[3] هدارة _تيارات الشعر العربي المعاصر في السودان – ص 416

ما من قضية هزت إنسانية فإفريقيا وا إنسانها واقلقت ضمير الحرية ووجدانها مثل مقتل لومبا وامتحان الكنغو" [1] إذ وقف عندها الشاعر كثيراً بأشعاره " وقل أن نجد شاعراً في فترة الستينيات كتب شعراً وطنياً إفريقياً ولم يذكر لومبا"[2]

وفي ديوانه غضبة الهبباي مجموعة شعرية سماها لوممبيات، تعرض فيها لمحنة الكنغو واغتيال لومبا. وأول قصائد هذه المجموعة قصيدة سماها بعنوان: (موبوتو ومنونقو) يقول في مطلعها:

هل سمعتم آخر الليل وقد رأن على الناس الوسن
هل سمعِتم سنة السكين في متنِ المسن
ورأيتمُ ضاوياً عانٍ وحيد
عاري المنكب في رسغيه أنياب الحديد
آخر الليل غفا
والجراح الفاغرات الشدق عضت كل شبر في البدن
هدأ الأحياء إلاها وقد ران على الناس الوسن [3]

بدأ الشاعر قصيدته بالاستفهام الاستنكاري وفيه دلالة على استهجانه للحدث واستغرابه من حدوثه، يسأل وكأن هنالك من يجيبه؛ في دلالة واضحة إلى أن المسئول عما حدث لا زال قريبا من المكان يتوجس من ردود فعل متوقعة، لقد كان لومبا أول رئيس وزراء بعد استقلال الكنغو من بلجيكا و هو"ذو ميولٍ اشتراكية"[4]و الشاعر يخاطب من يقفون أمامه يتحدث إليهم هل منكم من سمع ارهاصات قتل لومبا في آخر الليل وقد غلب على الناس النومثم هل ر أيتم

---

[1] غضبة الهبباي ، ص85

[2] حسن صالح التوم _ الاتجاه الإفريقي في الشعر السوداني المعاصر_ ص105

[3] غضبة الهبباي ، ص 89

[4] موقع الجزيرة الإخبار_ مقال بعنوان أسرار اغتيال لومبا نشر بتاريخ 18 / 9 / 2006م

رجلاً نحيفاً مقيداً يحاول أن يغفو ويتآمر عليه أعداؤه البلجيكيون مع الخونة من أبناء الكنغو فيعتقل مع بعض رفقائه؛ وربما في قوله: آخر الليل اشار لنهاية الاستعمار ولكن هذه اللحظة لم تدم طويلا إذ سرعان ما عاد الأبيض مرة أخرى يساعده في ذلك أبناء جلدته، وقد ألقي لوممبا في السجن مثخن الجراح، وفي تشبيه جميل يصف الشاعر القيود التي في رسغ لوممبا وكأنها أساور من العاج تزين يديه، فقد يراها غيره قيود تكبل وتذل ولكن عنده أساور تجمله، وقد استخدام الشاعر حاسة السمع أولاً ثم تلاها بالبصر لأن الموقف هنا يتاسب وذلك حتى يتمكن من إكمال الصور ويجسدها، ثم أنه عمد إلى عنصر التشبيه فشبه الجراح بوحش مكشر عن أنيابه يهجم بأسنانه على فريسته في كل جزء من بدنها، ثم أن كل الناس قد هدأوا إلا جراحه المثخنة ما زالت تبرحة بصنوف الألم وهذا فيه دلالة على الخيانة التي تعرض لها من أبناء شعبه، ثم يقول:

منهك . . . أسند الظهر على صخر جدار
خشن الملمس من صم الحجار
ورمي الرأس الذي يحمل هم الشعب في القيد الحديد
سنة، مثل شهاب لم يلح حتى انطفأ
حينما انقضوا عليه اذ غفا [1]

يواصل الشاعر في وصف حالة المناضل وتصويره في لحظات ما قبيل الإعدام وهو لاتشغله نفسه ولا الموت الآتي بل يفكر في شعبه المقيد بالاستعمار، ويخبرنا الشاعر أن هذا المهموم بالكنغو هو من جلب للكنغو فرحة لم تدم طويلا إذ سرعان ماعاد البلجيكي ليفرض سيطرته مستغلا في ذلك بعض الخونة من أبنائه، لأن أفكار وسياسة لوممبا فيها تهديد مصالح بلجيكيا،

[1] غضبة الهبباي، ص89، 90

فانقضوا عليه لما لم يحتملوا أضواءه التي لاحت. ويتأمل الشاعر فيما آلت إليه الأمور فيتصور مشهد إعدام القائد المعتقل

أيقظته ركلة النعل من النوم الغرار[1]
ورأي أعينهم يطفر من أعماقها الحمر الشرار
يشهرون المدية الباردة البيضاء في السجن البعيد
وعليهم آمر أبيض من بعدٍ أشار
فرموه وعلى الأرض إنكفأ
ولوو رأس لوممبا رأسه الصخر العنيد
وببطء اعملو ا مديتهم في اللحم واحتزوا الوريد[2]

لم يترك الشاعر شيئاً يقال في هذا المشهد الدقيق العصيب، مشهد قصصي مميز، مشهد أبان الشخوص والزمان والمكان والحدث، ولم يهمل الحالة النفسية لأيمنهم، و المستعمر لم يكن هو الوحيد المتورط في هذا الفعل، ونفذ الفعلة في ظلام حتى يتخلصوا من لوممبا وخوفاً على مصالحهم.

ويمضي الشاعر مصوراً هذا المشهد التراجيدي الحزين يقول:

وكما تذُبح خِرفان الضحية ذبحوه
ذبحو ه، وحديد القيد ما زال على رسغ الشهيد
مطبقاً يحفر أخدود دماء وصديد
وانتهوا - ثم الذي قد دبروه
خطفوه واستكانوا للفرار
قبل أن يلحظهم ضوء النهار

---

[1] نفسه ، ص90

[2] غضبة الهبباي ، ص90

قبل أن تشهد الشمس في الفجر الجريمة
من لصوص نهبوا جثته سراً كما تنهب بالليل الغنمية
وبجوف الدغل في ناحية مجهولة قد غيَّبوه[1]
حفرةً لو أنها تكتم ما قد أودعوه
ثم عادوا ليقولوا أن لوممبا أختفى
وكفى [2]

في هذا الجزء تتضح قوة الخيال عند الشاعر، فلا نتوقع أن صحافة اليوم التالي لليلة الاغتيال قد صورت المشهد وتحدثت عنه فعلم صلاح كبقية الناس،وإنما سمع الشاعر أن لوممبا قد اختفى، فشحذالخيال وصنع المشهد من تصوره رجل معتقل مقيد، يشرف على اعتقاله الاستعمار البلجيكي بكل جبروته وقوته، ثم يصبح الصباح ليقال أنه اختفى !! الحقيقة أنه أخفي بعد قتله الذي تخيله الشاعر، فقد أخفى في ناحية مجهولة لا يعلمها ألا القاتل " فقد أخفيت جثته هو ورفاقه الباقين بإذابتها في حامض الكبريتيك"[3]، أي لا ندري إلى أين ذهِب بها، ثم يقول لنا الشاعر في الأبيات التالية ان لوممبا قد مات ولكنه صار أقوي منه وهو حي ثم يقول:

تركت في خضرة الأرض شريطاً دموياً
هامساً في أذن الغابة والصبح تهيأ
مات لكن صار أقوي منه حياً
دمه ما زال في يأديهم ما زال في زنزانة السجن نديا ً
صارخاً : يالهب الثأر انبجس

---

[1] نفسه، ص90

[2] غضبة الهبباي ، ص90

[3] قناة الجزيرة الإخبارية_ أسرار مقتل لوممبا 2006/09/18م

وانطلق في كل فج والتمس [1]

و الشريط الدموي الباقي منه كناية عن الشرارة التي ستنطلق منها الثورة من جديد ضد البلجيكيين، الذين اغتالوا لومبا رمز النضال والأب الروحي للمناضلين، إن اغتياله زاد من لهيب الثورة والرغبة في الثأر من القتلة والبحث عن كل من ساعد على الجريمة التي يندي لها جبين البشرية، يقول:

عصر إنسانية الإنسان عصر المدينة
يـُ ذبح الإنسان في إفريقيا
أعزل في الليل
كما تذبح خرفان الضحية [2]

لقد تألم لحدوث هذه الجريمة في عصر حقوق الإنسان وعصر المدينة والتحضر فكيف يذبح الإنسان كالشاة، إنها صورة محزنة نقلها الشاعر في أسلوب قصصي حزين مليء بالتشبيهات والصور والمشاهد التي أعدهاببراعة ودقة تصوير.

وفي قصيدته (بين النيل والكنغو)، جعل الشاعر عنوانه رمزاً لما تمثله من إشارة إلى العلاقة بين السودان وبقية الدول التي يعبرها النيل،باكياً على ليل إفريقيا الذي طال، ليل الذل والهوان فيقول:

أواه يا إفريقيا من ليلك المديد
تأخر الفجر وقد كنا علي ميعاد
تأخرت فرحتنا بالعيد[3]

---

[1] غضبة الهبباي، ص 91

[2] غضبة الهبباي - ص 91

[3] نفسه - ص 98

في أسطر ه الثلاثة يتألم الشاعر من طول بقاء الاستعمار في أقطار إفريقيا وعدم جدوى نضال الأفارقة في مقاومته للاستعمار، وهو يثق أن شعوب إفريقيا قادرة على التحرر التام من الاستعمار، والنصر هو العيد والضمير _نا_ في قوله (فرحتنا) تحمل دلالة على وحدة الأفارقة واجتماعهم على الهم والألم فقد عبر أحمد شوقي في اجتماع العرب في الهم الواحد بقوله:

ضَحت وُنحن مـ ُ ختلفون داراً ولكن كُلنا في الهم ّ شِرَق ُ [1]

ومراده القول أنه: رغم اختلاف الألسن والسحنات إلا أن هنالك جامع، يتمثل في انتظار الاستقلال وجلاء المستعمر، ثم يذهب بنا الشاعر إلى قصة لومبا قائلاً:

كان لو ممبا يعرف الأعداء
يعرفهم بالاسم
يعرفهم بقولهم بفعلهم بالإثم
يعرفهم بالوصف بالسيما
يعرفهم بالنية السوداء[2]

لوممبا كان يعرف من اغتالوه غدراً ففي " 17/يناير/1976م دفع لوممبا ورفاقه في سيارة من الموكب الذي كان يتألف من أربع سيارات أمريكية وسيارتي جيب، فقد كان في السيارات الرئيس (تشومبي) واللفتنانت البلجيكي (غات) والموفض (فريشر) (بلجيكي)، فقد أُخذ لوممبا ورفاقه المعتقلين إلى غابة (موادينغوشا) ذات الأشجار الكثيفة وهنالك تم إعدام لوممبا ومن معه رمياً بالرصاص حتى أمتلأت الأرض بالرصاص الفارغ، فقد قتله البلجيكيون... بعد سنة واحدة من توليه الحكم لتأثيره على مصالحهم"[3].

---

[1] شوقي_ أحمد _ الشوقيات _ تقديم حسين هيكل _ دار الكتب العلمية _ بيروت، لبنان_ د.ط _ ج1 _ ص74

[2] غضبة الهبباي، ص 98 ،99

[3] قناة الجزيرة الإخبارية_ أسرار مقتل لوممبا،2006/09/18م

ويظل صلاح في رحاب قضية لوممبا من خلال قصيدة أخرى سماها (صلوات) وكأنه يؤدي واجب الصلاة على الميت يقول :

يا ماء عيون الكونغو يا مشعله شق الظلمات
ساقاه تطير بأجنحة نورانية
عيناه قذائف نارية
ويداه صواري، مثل فنار، يلمع في أفق
ما فيه ضيا نجم ساري
مثل النفق
الريح تقاومه، الليل يساومه، والصخر تربص بالحيات
وتمائمه حب الشعب وايمان وثبات
يا كيلا قضيّت أذود بكف خيالي عنك الضربات [1]

فقد بدأ الشاعر بالنداء (يا)، والمنادى لوممبا الذي يشبه ماء العيون وهو تشبيه بليغ، فلوممبا ماء عيون بلاده يبصر بها، في نضاله من أجل الحرية، وهو القائد المرشد لشعبه وهو المنارة التي يهتدي بها الناس على شدة رياح المستعمر، ولقد أضاء كالنجم، وتحدى عدوه الذي ساومه على ترك النضال، لكنهم فشلوا فقعدوا له كل مرصد كما تخيل الشاعر، ومن ثم حاول صلاح أن يحمي لوممبا من على البعد بخياله مستخدماً لفظ (بكف خيالي) وفي هذا استعارة؛ يقوي بها صلاح مدى هول المسألة عليهمؤكداً أنه ليس له ما يقدمه غير أن يتضامن بقلبه، فبدت هذه الصورة مثل لوحة الفنان.

نلحظ أن الشاعر قد قدم صورة في رائعة عامرة بالإثارة والتشويق من خلال التشبيهات و الاستعارات، والاستفادة من خلفيته الثقافية "وهناك ناحيتان لعلهما أهم مايميز صلاح بين

[1] غضبة الهيباي ، ص 102

شعراء الواقعية في السودان: الأولى ثقافته الواسعة المتعددة الألوان التي يحسها القارئ لأول وهله والناحية الثانية قدرته علي اختيار اللمحات التصويرية الدالة على مواقف إنسانية ذات قدره تأثيرية بالغة".[1]

قضية الوحدة الوطنية في شعر صلاح :

حينما فرح السودانيون بالاستقلال" بما تحقق من نصر، ... غاب عنهم... أن البلاد لم تكن مهيأة ...للمهمة المنتظرة،... ولم يكن المجتمع السوداني قد بلغ فيه درجة معقولة من الانصهار والوعي القومي، أو حقق مرحلة مقبولة في بناء وتطوير مؤسساته السياسية"[2]

ورث السودان عن الاستعمار، كياناً يفتقر إلى عناصر التوحد والتماذج فيما بينه، وقد كرّس الاستعمار البريطاني جهوده في إشاعة روح القبلية بين فئات المجتمع المختلفة، ساعده على ذلك العدد الكبير من القبائل ذات الثقافات المتعددة، التي تكون نسيج المجتمع السوداني. وإن كنا لا نلقي باللائمة علي المستعمر، فهو لم يوجد عدماً وإنما قام بتأجيج هذه الرغبة المتأصلة في الشعب ووجهها علي النحو الذي يخدم مصلحته.

أدخل العرب العربية والإسلام في السودان وكذلك أدخلوا فيه الحياة القبلية المألوفة لديهم وحتى أن قيام مملكة الفونج، كان على أساس حلف قبلي بين قبيلتي الفونج والعبدلاب، ومن هنا أخذت النعرات القبلية، تتفشي في أرض السودان، حتى تضاعفت

---

[1] هدارة -تيارات الشعر العربي المعاصر في السودان ص 415

[2]. علي- يوسف محمد– السودان و الوحدة الوطنية الغائبة –مركز عبدالكريم ميرغني الثقافي –أم درمان السودان ط 2012م ص4

آثارها...، مما كان له أبعد الأثر في إضعاف وحدة الشعب داخل الوطن الواحد "[1] ، واستفاد الاستعمار البريطاني كثيرا من البيئة القبلية التي سهلت مهمته في إدارة دفة الحكم بما يخدم مصالحه عملاً بسياسة فرق تسد.

وبمرور الزمن أصبحت الوحدة الوطنية، من المسائل التي أقضت الحكومات وسعى الجميع لإيجاد منطقة وسطي، يجتمعون عندها وبرغم هذا لاننكر أن السودان عاش وحدة وطنية إبان فترة الاحتلال التركي المصري، وحدة نتجت عن ممارسات الحكام الأتراك الذين لم يميزوا بين الناس، مما أدى إلي توحيد الشعب السوداني، ولو إلى حين من أجل محاربة الظلم الواقع عليهم، "وتعتبر الوحدة الوطنية التي شهدها السودان، إبان العهد التركي أكبر فضائل ذلك العهد عليه، إذ قادت في المستقبل إلى الوحدة الوطنية ...، حينما اتفق الجميع على الممارسات الخاطئة والإدارة التعسفية للحكام الأتراك".[2]

"ويرجع سقوط دولة المهدي إلى افتقادها الوحدة الوطنية، التي تمتع بها السودان آنذاك، زهاء الأربعة عشر عاما بعد انتهاء فترة الحكم التركي الأمر الذي دفع البلاد مرة أخرى إلى الوقوع تحت سيطرة الحكم الثنائي بين مصر وانجلترا في يناير 1899م"[3]

وهذا يؤكد لنا مدى سيادة روح القبلية وطغيانها مماجعل السودان فريسة للاطماع الاستعمارية.

---

[1]. احمد النور دفع الله (دكتور) – الصحافة الحزبية و الوحدة الوطنية في السودان _مركز عبدالكريم ميرغني الثقافي- أم درمان السودان_ ط1 _2014م _ ص 11

[2]. أحمد _ النور دفع الله (دكتور) – الصحافية العربية والوحدة الوطنية في السودان ص12

[3]. المرجع السابق ذكره ص 12

وسعى المثقفون لإيجاد أرضية يجتمع عندها الفرقاء من الشعب، فنادوا بالقومية السودانية، ولم تتحقق لأن المجتمع خليط ما بين العربية والإفريقية، ولكل منهما مايتمسك به، ثم نادوا بغاية أسمى هي الوحدة من أجل وطن واحد.

"فالسودان مع ارتباط جل أبنائه ارتباطا وثيقاً بالأمة العربية المسلمة، فإنه مرتبط أيضاً بتيارات الكيان الإفريقي موطناً وعرقاً ، وتأثر جل مثقفيه الذين قادو ا حركة التحرر الوطني بالفكر الأوربي مثل ما حدث لرصفائهم في العالم العربي، ولاشك أن التطورات السياسية، التي شاهدتها البلاد منذ الثلاثينيات، قد بلورت مفهوم الأمة بين السودانيين"[1].

ولقد نادى المؤتمر بتكوين القومية السودانية وتساءل الأزهري: (مالنا نتضاءل في بلدنا ونتخاذل في حقنا، وقد تعهدنا الحكم الثنائي ما يقارب أربعين عاماً !، أما آن لنا أن نقف على أرجلنا!، أما آن لنا أن نثبت . وجودنا ونعثر على سودانيتنا).[2]، وهي دعوة صريحة من السيد إسماعيل الأزهري، إلى الالتفاف حول قومية واحدة، ألا وهي القومية السودانية، ونبذ التشرذم والقبلية التي أضرت كثيراً بوحدة الشعب.

وقد أولاها الشعراء اهتماماً في أشعارهم، وصلاح أحمد إبراهيم ممن وقفوا عندها كثيراً بدافع حب الوطن "وليس من شك في أن صلاح أحمد إبراهيم في مقدمة الذين اهتموا بمشكلات القارة الأفريقية ولكن اهتمامه بها لم يطغ علي اهتمامه بالمشكلات والقضايا المحلية في وطنه السودان" [3] وكانت الوحدة الوطنية تنضح بها أشعاره، ويتناولها على هيئة التوحيد "بين شمال

---

[1].الطريفي . العجب أحمد (دكتور) . دراسات في الوحدة الوطنية في السودان . دار جامعة الخرطوم للنشر ـ الخرطوم . السودان _د.ط_ 1988م ص (31 . 32).

[2]. طه . فيصل عبد الرحمن على (دكتور) . الحركة السياسية السودانية والصراع المصري البريطاني بشأن السودان 1936 . 1953 . دار الأمين للنشر . الجيزه . مصر . ط1 _1998م

[3]نفسه_ص 415

السودان العربي وجنوبه الزنجي، وهي في الأساس قضية تفاهم في نظره تشكل المعيار لحل القضايا الإفريقية في مستوياتها المختلفة"[1]

اهتمام صلاح أحمد إبراهيم بهذه القضية جعله يفرد لها حيزاً في شعره وفي هذا تستوقفنا قصيدته (فكر معي ملوال) وفيها يتناول الأسباب التي أدت للجفوة بين أبناء شمال وجنوب السودان قبل الانفصال والقطيعة الحادثين فيقول :

ملوال ها أنا الحس سنة القلم
العق ذرة التراب
أضرب فخذي بيدي . . . أقسم بالقبور . . بالكتاب [2]
شلت يدي جنازة لو أنني كذبت يا ملوال
ولينشف اللسان من جذوره ولتنفطر هذه اللهاة من ألم
كأنها حنظلة الجبال
لو أنني كذبت يا ملوال
وقبل أن تنكرني أصغ . . اسمع لقصة الجنوب والشمال
حكاية العداء والإخاء من قدم[3]

في الأسطر الثلاثة الأولى يورد ضروباً من القسم المتداول في أغلب مناطق السودان وهو لحس القلم ولعق التراب، أو ضرب الفخذ أو القسم بالقبور أو بالأموات والكتاب، هي أنماط قسم متعارف عليها في الأوساط السودانية وقد استخدمها الشاعر محاولاً تقريب الجنوبي وجذب انتباهه مخاطباً إياه بهذه اللغة المشتركة الموروثة بينهما "ونراه يستعين بذلك كله لا ليتقرب بالشكل من العامية ولكن يمنح شعره قدراً من التأثير".[4] كما أن "استعمال التراث الشعبي في

---

[1] حسن صالح التوم _ الاتجاه الإفريقيفي الشعر السوداني المعاصر_ص295

[2] غضبة الهبباي – ص 53

[3] غضبة الهبباي – ص 53

[4] هدارة _تيارات الشعر العربي المعاصر في السودان ، ص 415

الشعر بشكل واعٍ أمر جديد على الشعر العربي الحديث حملإليه حيويةً واحساساً بالواقع"[1] فاستخدام الشاعر للموروث الشعبي والعادات المحلية كان الموقف يتطلبها حتى تطبع الصورة بالواقع، ما أن يفرغ من جذب انتباه الجنوبي حتى يبدأ في سرد قصة العداء المتعمقة بين الشمال والجنوب قائلاً :

العربيّ حامل السوط المِشَلُ للجمال
شكّال كل قارح، ملاعبُ السيوف والحراب
حل على بادية السودان كالخريف بالسنة بالكتاب
خرَّب (سوبا) وأقام علي أنقاضها (سنار)، والأخرى التي سوارها تيراب[2]
يحمل رحاله طموحه ولوحه وتمرتين في جراب
وشجر الأنساب
لا قيته في تَقَلي في الترعة الخضراء، في كاكا، وتيجان الأقار والعلياب[3]

وصف الشاعر في هذا الجزء من قصيدته دخول العرب أرض السودان، وقد تسبب في خراب العديد من الممالك وأقام على أنقاضها تحالفات قبلية لتكون الأساس في بناء العلاقات الاجتماعية الجديدة، فالعربي عنده سيادة لروح القبلية، وكانت هذه البذرة التي أججت نار الفرقة بين الناس، كما أن العربي أثناء تنقله بين أقاليم السودان تزاوج مع العديد من القبائل التي عايشها، ونتج عن ظهور إثنيات ودماء جديدة، ثم يمضي قائلاً:

ينافس الفرنديت، يريد منك العاج والعنسيت، والعبيد من فرتيت
والمرعي وعسل الغابة والخرتيت،مكالفر ّح السوميت في خواطر الجلاّب

---

[1] الجيوسي _ سلمى الخضراء (الدكتور) الإتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث _ ترجمة الدكتور عبد الواحد لؤلؤة_ مركز دراسات الوحدة العربية _ بيروت ، لبنان_ ط1_ 2001م _ص793

[2] عضبة الهبباي – ص 53 ، 54

[3] عضبة الهبباي – ص 54

تصطرعان مثل جاموسين يا ملوال، ولكن قرنك الصغير الطري
قرنك الضعيف لا يهاب[1]

في هذه الأسطر يكمل الشاعر كيف أن العربي كان همه الأول هو جمع النفائس والثاني هو جمع العبيد والعربي وا ٍنسان الجنوب كجاموسين يصطرعان فيهما إلا أن القوة والغلبة كانت للعربي الذي كان يحشذ طاقاته من الكسب وجمع النفائس وهو بذلك لا يحترم إنسانية الجنوبي، فهو لا يهتم لما تؤول إليه الأحوال في مقبل الأيام، وقد استطاع الشاعر أن يصور لنا العربي من أفعاله وصفاته مستخدما الكناية في هذا، فتمكن من تجسيد صورة ذلك العربي الغازي لبلاد الجنوب، كما أنالاستفادة من الخلفية التاريخية في إيراد الحقائق كان لها حضوراً ، بالإضافة إلى ثقافة الشاعر وا ٍلمامه بالبيئة الجغرافية "وقد قيل ينبغي للكاتب أن يتعلق بكل علم"[2] حتى يكون حاذقاً في صناعته. انتهي الشاعر من وصفة للعربي ووصف أفعاله ثم يتحول إلى بعد أعمق ليروي لنا ما ارتكبه هؤ لاء باسم المال والسيطرة فيقول:

و الوثني دمه وآله وماله حلال
لا عاصم يقيه إلاّن يقول : لا إله الا الله إلاّ رأفة الإسلام بالرقاب
إلا قولة قديمة كلكم لآدام وآدم من تراب
تفتحت حقيقة سمراء في أحشاء كل أمّ وِلدٍ منهن،
من بنات جدك الأكبر مما بذرته نطف الأعراب
فكان منها الفور والفنج، وكل سحنة فاحمة، وسمة غليظة،
وشَعر مفلفل رذُّ على إهاب
حقيقة كبيرة عارية كالفيل كالتمساح، كالمنيف فوق كسلا سليطة الجواب:
كذاب الذي يقول في السودان أنني الصريح أني النقي العرق

---

[1] نفسه _ص54

[2] ابن الأثير_ضياء الدين_المثل السائر_دار الرفاعي_ الرياض_ ط2_ج1_د.ت، ص55

إنني المحض. . . أجل كذاب [1]

لقد افتتح الشاعر هذا المقطع بقوله والوثني دمه وماله – وهنا تظهر لنا ثقافة صلاح الدين التي يستخدمها ليصور لنا هذا الموقف وهو تناص سلبي بين قوله وخطبة الرسول صلي الله عليه وسلم في حجه الوداع التي قال فيها: (كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه . . . الخ) [2] وقد أراد أن يلفت الانتباه إلى أن العربي قد استخدم هذا في غير موقعه أو معناه، فطالما أن الذي يتعامل معه غير مسلم فحلال له كل ما يملك هذا الوثني مع أن الإسلام حفظ لغير المسلمين حق العيش الكريم في المجتمع الإسلامي، وهي إشارة منه إلى عدم تحقق الحق الذي أقره الدين، وأن العربي غض الطرف عن حق الآخر، ويستفيد في البيت الثاني من خلفيته الدينية في قصة الطوفان الذي عاقب به الله تعالى قوم سيدنا نوح عليه السلام وهو اقتباس في قوله تعالى: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ٤٢ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ٤٣) [3] استفاد صلاح ببراعة من هذه الثقافة الدينية ليضفي عمقاً لصورته (لا عاصم يقيه...) والتشبيه هنا بين ابن نوح والوثني يقول البروفسور عبد الله الطيب: (في شعر صلاح إشارات إسلامية السنح قوية منبثقة بلا تكلف من أصول معانيه وعواطفه وانفعالاته) [4] وهذا ما نراه في الجزء السابق الذي _مع ما ذكر_ يشير إلى مسألة تمثل هوساً لبعض سكان الوسط والشمال وهي صفاء العرق الذي يدعيه بعضهم فجزم بأن ليس في

---

[1] غضبة الهبباي – ص 54،55

[2] القرطبي _ أبي محمد علي بن أحمدبن سعيد بن حزم _ حجة الوداع _ تحقيق أبو صهيب الكرمي_بيت الأفكار الدولية للنشر_الرياض، السعودية – د.ط_ 1998م_ ص169

[3] سورة هود الآية (42-43)

[4] مقدمة ديوان نحن والردى بقلم أ.د عبدالله الطيب ص9

السودان عرقٌ صافٍ ، وذلك لمصاهرة العرب الوافدين لأهل البلاد وكاذب من يدعي غير هذا، ثم يعرج صلاح إلى الأبيض المستعمر القادم من أوربا الذي أتى ليعيد مشهد المأساة فيصوره بقوله :

الأبيض الشرير جاء من جديد يتبعه الرحالة الجاسوس
ها غير من قميصه الثعبان.
الأبيض الشرير جاء من جديد، ملهم الجرائم الكبري أتاك والمبشر الأبيض
يبنيان بالقش كنيسة صغيرة.
في وسط القرية في معسكر السخرة، في عقول البسطاء في مجاهل الأدغال[1]

جاءاك في تحالف مقدس، حكاية المقعد والأعمى بذاتها الرب والشيطان
معاً عليك قيصر الروس وراسبوتين، في ستة أيام يجدف الحديد ثم
يرتاح لكي تمجد السماء يوم الأحد الصلبان
جاءاك للأرض وما على الأرض وتحت الأرض، كل علم كالخنجر
المغروس في مكان [2]

الأبيض الشرير كلمة نقف عندها وقد وصف الشاعر هذا الأبيض بالشرير لما يأتي من خلفه من فظائع وجرائم يندى لها الجبين، والعربي والأوربي هما وجهان لعملة واحدة، يتصفان بالصفات نفسها، والأوربي جاء بدعوى التبشير مصطحباً معه المبشرين وكل منهما يستغل الآخر من أجل أهدافه، فهو كان " يمشي بالنميمة بين الطرفين، ولتحقيق مصالحه زج بكل الوسائل لإنفاذ مخططه"[3] لقد أختار الشاعر لهذه الصورة ألفاظاً معينة حتى تخدم فكرته، مثل (الأبيض الشرير)، (الجرائم الكبرى)، (معسكر السخرة)، (الثعبان)، (الرب والشيطان)، (قيصر

[1] غضبة الهبباي – ص55
[2] غضبة الهبباي – ص55
[3] حسن صالح التوم _ الاتجاه الإفريقي في الشعر السوداني المعاصر_ص295

الروس وراسبوتين)، وهو الرحالة الجاسوس، فهذه الألفاظ كلها لها دلالة الشر وقتامة الصورة، استخدمها الشاعر حتى يجسد صورة الأبيض المتدثر بلباس الدين، وهذه الألفاظ في دلالتها تجعل منه صورة شريراً كما في مخيلة الشاعر فقام بعكسها لنا حتى يتمكن المتلقي من تخيل هذه الصورة، والشاعر المتمكن هو الذي يتمكن من لفت انتباه المتلقي بلغته الشعرية، ومن "ثم تجد طريقها إلى قلبه ويقوى تأثيرها الشعوري في نفسه"[1].

ثم يعود مرة أخرى مناجياً الجنوبي يقول :

ملوال صوت رابح يقول: بلساني رابح زينة جانقيك وفهد جورك الأباة شبل نمنمك[2]

(عبد الفضيل) تمساح جزائر النيل، وقلب وطني الجامد يا - ملوال – ابن عمك

و(ثابت) الثابت حينما تحسس الردى ضلوعه في طرف الخرطوم ربما كانت له قرابة بامك

وابن كبرياء هذا الشعب ، عينه ، لسانه ،ضميره ويده

(علي) العظيم

فلذه من قومك[3]

في هذه الأسطر إشارة للتمازج القبلي وانصهاره في قالب واحد حيث لا فرق بين رابح[4] أو ثابت[5] عبد الفضيل[6] أو علي عبد اللطيف[7] فهم خير مثال للوحدة بين الشمال حيث أنهم

---

[1] طبل_حسن(دكتور)_المعنى الشعري في التراث النقدي_دار الفكر العربي_القاهرة_ط2_1998م_ص167

[2] غضبة الهبباي – ص 56

[3] غضبة الهبباي – ص 56، 57

[4] رابح فضل الله من قواد الزبير، انسلخ بجيشه بعد تسليم سليمان الزبير وفتح وسط إفريقيا مشيدا إمبراطورية من وادي ونهر الشاري حتى شمال الكمرون

[5] هو أحد قادة ثورة اللواء الأبيض الذين اعدمهم الأنجليز بعد المظاهرة التي قام بها ضباط من الكلية الحربية.

[6] هو عبد الفضيل الماظ من أبناء منطقة أعالي النيل وينتمي إلى قبيلة الشلك وهو من شهداء انتفاضة 1924م المسلحة

[7] علي عبد اللطيف قائد جمعية اللواء الأبيض وهو من قبيلة الدينكا

بالرغم انتمائهم للجنوب إلا أنهم عاشوا بسلام مع إخوانهم في الشمال دون الإحساس يوماً بأي فارق بينهم وبين إخوانهم من شمال السودان، كما أنهم كانوا جميعاً يدينون بالإسلام مما يؤكد أن الفوارق قد زالت وهذا خير مثال للوحدة الوطنية فى أسما معانيها، وهذه دعوة واضحة منه لاعلاء قيم الإنسانية ونبذ كل أسباب الفرقة والشتات، ثم ينتقل إلى مشهد آخر يقول فيه:

تحطم البيانُ غير أن نغمات منه لا تزال تفعم الأثير، لا تزال تفعم الأثير
أسمعها بأذن (وولت ويتمن) تقول عيشوا أخوة
برغم كل شيء إخوة وعمروا بالحب هذا البيت، هذا الوطن الكبير
أصداؤها تضج في دمي يا روضة أزهارها شتى[1]

أشم فيك عبق المستقبل، الجميع حينما الجميع يلتقون في التقاء
الأبيض الحليم بأخيه الأزرق المثير [2]

هنا يشير الشاعر إلى بيان صادر عن الأمريكي(وولت ويتمن) الذي كان ينادي بالإخاء والاتحاد والديمقراطية، وهذا البيان نادى بالعيش في تضامن وان عليهم نبذ التعصب والقبلية؛ التي لا تمت الى الإنسانية بصلة وعليهم إعمار الوطن ثم دعا الشاعر إلى ازالة الفوارق اللونية، والإثنية، ها نحن بذلك ننحو إلى المشهد الأخير الذي أعطى فيه الشاعر لوحة لكل قبائل السودان في جو من التآلف والمودة:

أنظر يوم يقبلون عربا، وبجة، ونوبة، وفجلوا، وباريا ،وبرتة
،وبنقو ،وزغاوة، وامبرو ،وانقسنا، ودينكا، وتبوسا، وأشولي،
ونوير، ومساليت، وأنواك، ولاتوكا، وغيرهم للبوش كل
منهم يهدى ولكن باعتزاز شيئه الصغير

[1] غضبة الهبباي – ص 57

[2] غضبة الهبباي – ص 57

ويوم أن يسود في السودان صوت العقل، صوت العدل
صوت العلم واحترام الاخرين[1]

عدد الشاعر في هذه النص عدد من قبائل السودان من مناطق مختلفة، وتخيلهم ينصهرون في بوتقة واحدة تسود بينهم روح الإلفة والإخاء، وتسقط كل الحواجز التي تعطل مسيرة الوحدة قدما، وتسود روح العدالة واالعلم، يتبادلون ويتهادون الأشياء في عزة نفس ثم يسترسل قائلاً :

حقهم في أن يكونوا (آخرين) حقهم أن يبلغوا الرشد متى شاءوا
وكالشمال والريح[2]
أحرار فأمهاتهم، يسود صوت الحق، صوت الخير
ذاك الذي يمكن يحمله صديقنا (قرنق) بالديمقراطية الحقة، ما
نعرف أنه هناك ثابتاً
كهيكل الفولاذ يمسك البناء في سعاده القرنين والتتار والبشكير
فكر معي ملوال أي مجد سوف نشتهيه معاً على ضفاف النيل
يتيه في مروجنا الخضراء مثل (أبيس) الإله يملأ العين، يسر القلب
يهز السماء بالقرنين[3]

يواصل الشاعر وصفه الوحدة الوطنية الحقة وفكرة قبول الآخر الذي له نفس الحقوق وهم أحرار غير مستعبدين وتسود، روح الديمقراطية وهذا بمثابة البنيان القوي المترابط غير قابل للانهيار؛ وذلك مثل تماسك القوميات في الاتحاد السوفييتي سابقا عندها يمكن لإله الحب أن يتيه في مروجنا الخضراء، وفكرة إله الحب تحمل دلالة على ثقافة صلاح بالتاريخ القديم.

---

[1] نفسه- ص57

[2] نفسه – ص57

[3] غضبة الهبباي – ص57، 58

ونستشعر في نهاية القصيدة أنها كانت لوحة جميلة للوحدة الوطنية بعد حدوثها والبعد عن الخلاف ومن تسبب فيه، فيقول:

فكر معي ملوال قبل ان تنتابنا قطيعة رعناء
باسم عزة جوفاء أو باسم سداد دين
يوغرها الأعداء بالذي مر به الآباء فلنقل براء، نحن منها ننفض اليدين
تفتحي يا امنيات الشعب عن مستقبل نحن معانيه معاً
وعن هناءة الشمال بالجنوب
عن نضارة الإخاء في هذين
يوم لا تقوم بيننا السدود والحدود[1]
يوم لا يعذب الجدود في قبورهم حاضرنا
لا الدين ، لا الاصل ولا سعاية الغريب لا جناية الغبي
لا وشاية الواشي تدب كالصـ ـلال في القلبين
فكر معي ملوال [2]

يدعو الشاعر صديقه ملوال للتفكير في الأمر من قبل ان تقع القطيعة بينهما، وتمنى الشاعر أن تسفر الأيام بفجر جديد يوم لا تكون فيه الحواجز على اختلافها؛ سواء كانت الآنية أو التاريخية سبباً في فرقة الشمال والجنوب وعدائهما.

تبين هذه القصيدة كل أسباب الوحدة والإلفة، وتتميز بوحدة موضوعية تماثل فيها غيرها من الشعر الحديث وبخاصة الشعر الحر الذي كان صلاح احمد إبراهيم من رواده وهو "من أكثر شعراء الواقعية... اهتماماً بوحدة العمل الفني وانسجامه وترابطه" [2]

---

[1] نفسه – ص 58

[2] غضبة الهبباي– 58

[2] هدارة_ تيارات الشعر العربي المعاصر في السودان ص 436

وحوت القصيدة معاني الوحدة الوطنية ونبذ الفرقة والدعوة لأن يعيش الجميع في محبة ووئام، انطلاقاً من مبادئ إنسانية توجب على كلٍ منهم أن يحترم الآخر الإنسان بأعتبار أنه إنسان.

مما سبق نخلص إلى أن صلاح أحمد إبراهيم قد تاثر كثيراً بقضيتي مناصرة حركات التحرر والوحدة جعلته يتوقف عندهما، مناصراً للتحرر وداعياً إلى وحدة وطنية.